

النكبة مجدداً

* مردخاي بار - أون

** الصراع على ذكريات الحرب

من طرف السلطات العليا، والتي رسمت صورة بطولية للجيش الإسرائيلي ومشرفة أخلاقياً له وللمشروع الصهيوني وأهدافه، وفي المقابل صورة كاذبة ومشوهة للشعب الفلسطيني ودفاعه عن وطنه. هذه الصورة الأسطورية فضحها ومزّقتها لاحقاً مؤرخون إسرائيليون جدد من أجيال لاحقة، رسموا صورة للحرب ومجرباتها وأهدافها أقرب إلى الحقيقة. وما يكسب هذه المقالة أهمية استثنائية هو اعتراف لورخ بالذات بأن الرواية الرسمية التي اعتمدت كانت تفتقر إلى الأمانة والاستقامة والدقة العلمية، وأنه جرى تطهيرها من جميع الوقائع والأموغ غير المريحة للجيش أو الدولة أو القادة العسكريين. وهذا كله، بالمناسبة، ليس غريباً عن أدبيات الحركة الصهيونية بأسرها.

حرب ٤٨ هي الحدث الأخطر في تاريخ القضية الفلسطينية والصراع العربي - الصهيوني، وهي تحتل مكانة مركزية في الوعي والذاكرة الجماعية، سواء لدى الفلسطينيين أو الإسرائيليين. وقد اهتمت القيادة الصهيونية العليا بعد أعوام قليلة من انتهاء الحرب بدراساتها وتدوين وقائعها واستخلاص رواية لها، وجرى إنشاء فرع متخصص في هيئة أركان الجيش الإسرائيلي لكتابة تاريخ الحرب، وعُيّن المقدم نتانئيل لورخ رئيساً له وكلف القيام بهذه المهمة، وقام فعلاً بها، وأعدّ مخطوطة أرسل نسخاً منها إلى كبار الضباط الذين أداروا المعارك، أملاً بالاستفادة من ملاحظاتهم. فماذا كانت النتيجة؟ تروي هذه المقالة قصة التأليف، وما جرى للمخطوطة التي أرسلها، وما أدخل عليها، بعد إقصائه عن رئاسة فرع التاريخ في هيئة الأركان وإبعاده إلى الخارج، من حذف وإضافة وتحريير، كانت محصلته مخطوطة مختلفة كلياً في كثير من الأمور المهمة. وأضاف رئيس الحكومة ووزير الدفاع آنذاك دافيد بن - غوريون إلى المخطوطة مقالة طويلة نُشرت في كتاب شكّل الرواية الرسمية للحرب، المصادق عليها

* مؤرخ وعضو كنيست سابق، والضابط الذي كان مسؤولاً عن تثقيف الجيش الإسرائيلي.

** جزء من فصل من كتاب: "حرب الاستقلال ١٩٤٨ - ١٩٤٩" (بالعبرية)، تحرير ألون كاديش (تل أبيب: وزارة الدفاع، ٢٠٠٥)، المجلد ٢، ص ٩٨٩ - ١٠٠٣.

ترجمة: يولا البطل.

فرع التاريخ في هيئة الأركان العامة

قررت هيئة الأركان العامة في الجيش الإسرائيلي، في أواسط سنة ١٩٥٢، إنشاء فرع متخصص غايته دراسة أحداث حرب الاستقلال [١٩٤٨ - ١٩٤٩] وإرساؤها على قاعدة بحثية شاملة. وعندما شرع الفرع في مهمته، كان قد تجمّع لديه كمية لا يستهان بها من التحقيقات والمؤلفات بقلم "مؤرخي" تلك الفترة، وشهادات ووثائق كثيرة تكوّنت في خضم المعارك، وكمية لا يستهان بها من الكتب والمقالات التي رأت النور أو نُشرت في سياق عمل الفرع في بداياته،^١ لكن [...] طابع هذه الكتابات كان مجتزئاً ومنقوصاً وعفويّاً.

ووقع الاختيار على مقدّم شاب من هيئة الأركان العامة، كان أول من بذل قصارى جهده في كتابة رواية شاملة لتاريخ الحرب، ووفقاً في إعلاء دراسة الحرب إلى منزلة البحث المنظم والمحرّر بحسب أفضل التقاليد العلمية في العالم. إنه نتانئيل لورخ، الذي خاض حرب الاستقلال كأمّ سرية في لواء "عشيووني"، ثم خدم كمساعد للجنرال يغئيل يادين، ثاني رئيس للأركان في الجيش الإسرائيلي (١٩٥٠ - ١٩٥١). وفي مطلع نيسان/أبريل ١٩٥٢، استقال الرائد لورخ من وظيفته في مكتب رئيس الأركان وأنشأ "فرع التاريخ".^٢

وجلب لورخ معه خلفية ثقافية واسعة، وكل ما أخذه عن أساتذته في الجامعة العبرية قبل اندلاع حرب الاستقلال، فقد تتلمذ على يد عدد من المؤرخين المشهورين عالمياً، الذين طوروا في نهاية الثلاثينيات وفي أربعينيات القرن الماضي قسم التاريخ في الجامعة العبرية في جبل المشارف. أما الآن فكان عليه معالجة مشكلات مختلفة عن تلك التي سمعها من أساتذته الذين اهتموا بدراسة أحداث مرّ عليها قرون، ذلك بأن الأحداث التي قصد لورخ

دراستها وقعت قبل أقل من خمسة أعوام. فالذكرى كانت لا تزال حية، والانفعالات والمؤثرات السياسية التي تعترى نفوس المعنيين بالأمر كانت في أوجها، مثلما اكتشف لورخ من معاناته الشخصية التي ألمته وأحبطته. ولم يكن غريباً أن يقارب لورخ موضوعه بحذر، وأن يقصر جهده على معالجة "التاريخ العملائي" فقط، ويتفادى بحث أحداث الحرب بمختلف وجوهها، ومع ذلك، فإنه قرر تقلاب عدد من الموضوعات "غير العملائية"، لأنه اعتبر أنها أثّرت مباشرة في مجريات الأمور العسكرية. وشملت هذه الموضوعات مسائل مثل قرارات الأمم المتحدة، وشراء السلاح، وتعبئة القوى البشرية، والتدريب، وما شابه ذلك. وكان مشروع نتانئيل لورخ طموحاً أكثر من اللازم، وتأثر من دون شك بمؤلفات مشابهة بدأت تصدر في ذلك الوقت عن الجيوش الغربية.^٣ وفي ضوء تجارب جيوش أخرى، قدّر نتانئيل لورخ أن تدوين "التاريخ العسكري لحرب الاستقلال يحتاج إلى ستة أو سبعة مجلدات، يضم كل منها ما يتراوح بين ٢٠٠ و٤٠٠ صفحة"، وكان يُفترض في المجلدات أن تركز على بحوث تغوص في موضوعات تفصيلية، وتشكل أساساً لخلاصات شاملة. ورأى لورخ أن إنجاز كل مجلد يتطلب فريق عمل يرئسه ضابط كبير أو مؤرخ "بمستوى محاضر في الجامعة".^٤

ولم تتم الاستجابة لطلبه هذا، وتكوّن فريق البحث القيادي في فرع التاريخ، في نهاية الأمر، من رئيسي قسمين: الرائد موشيه إيلان، الذي عمل أساساً على تسجيل وقائع "الأمن الجاري" للجيش الإسرائيلي في تلك الأعوام، وغابرييل (غابي) كوهين، من قدامى فريق البحث في مجلة "معاخوت"، الذي ركّز على دراسة تاريخ حرب الاستقلال. وضمّ إلى الفريق أيضاً، الملازم أول يهوشوع بن - أرييه، الذي أصبح فيما بعد بروفسوراً في الجغرافيا التاريخية في الجامعة

عائقه كتابة تاريخ الحرب في القدس، بينما ركّز آدم شتكاوي على تاريخ سلاح الجو، في حين أنيطت قصة سلاح البحر باليعيزر طال، أما الضابط الكهل ولفغانغ فون فيزل فتطوّع لكتابة تاريخ سلاح المدفعية. ولم يكن لهؤلاء الباحثين، في معظمهم، أي خبرة بحثية سابقة، إلاّ إنهم عُرفوا بقدرتهم التحليلية والكتابية. ونجح فرع التاريخ، خلال سنة ١٩٥٣، حتى أواسط سنة ١٩٥٤، في تجنيد ٥٠ باحثاً تقريباً درسوا الحرب بمختلف وجوها، بدءاً بالعمليات العسكرية المحلية وصولاً إلى العمليات الأوسع مدى، مثل البحث الشامل عن "معارك الجبهة الجنوبية"، والذي أنجزه يغال ألون وغاي كوهين معاً، ودراسة عملية "حيرام" [في الجليل الأوسط]، والتي أنجزها يتسحاق موداعي، ورواية كتيبة المدرعات بقلم يعقوب إلباف^٨، وفضلاً عن الأبحاث التي حاولت تقصي وقائع الأحداث من منظور الجيش الإسرائيلي، فإنّ لورّخ أدرك أن من الحيوي إظهار وجهة نظر العدو بقدر المستطاع، ولهذا كلف عدداً من ضباط الاستخبارات بالمهمة. وبديهي أن يكون استطلاع وجهة نظر "العدو" عويصاً لصعوبة الحصول على مصادر، إلاّ إن جهداً هائلاً بذل لكشف ونشر وثائق أصلية صادرة عن الجانب العربي. وفي شباط/ فبراير ١٩٥٣، أصبح في حيازة الفرع مجموعة وثائق كانت موجودة لدى شعبة الاستخبارات، ووُضعت في تصرف الباحثين^٩. فقد ترجم شموئيل سيغف (صباغ، في تلك الأيام)، وهو من قدامى رجال الاستخبارات، ثلاثة مؤلفات باللغة العربية صدرت آنذاك في البلاد العربية، ومؤفوها هم: الحاج نمر الخطيب، من زعماء اللجنة القومية في حيفا، وقد روى أسباب هزيمة العرب في حيفا في ربيع سنة ١٩٤٨؛ كمال إسماعيل الشريف، ضابط مصري قاد وحدة الإخوان المسلمين التي جُنّدت في مصر، وروى هجومهم على كفار داروم، ووصف المعارك التي دارت في جبل

العبرية، والملازم أول مردخاي نيسياهو، الذي أضحى فيما بعد منسّق وحدة الدراسة والتفكير في مقر حزب العمل في بيت بيرل، فضلاً عن بعض الباحثين المبتدئين^{١٠}.

مواد البناء [تجميع الوثائق]

كان همّ لورّخ الأول تجميع "مواد البناء" الضرورية لمواصلة المهمة، وقد مكّنته علاقاته الطيبة بهيئة الأركان العامة من وضع يده على بعض الملفات المهمة لشعبة العمليات، والمتعلقة بفترة حرب الاستقلال. وأهم الملفات كان ملف البرقيات الواردة إلى هيئة الأركان العامة من وحدات القتال الميدانية، وملف الأوامر والتعليمات التي صدرت عن هيئة الأركان العامة إلى الميدان، وقد شكّلت هذه البرقيات الداخلة والخارجة تدويناً متواصلًا لمعظم العمليات العسكرية خلال الحرب. وأسعد اكتشاف هذه الملفات رجال فرع التاريخ إلى حدّ إطلاعهم عليها تسمية "المعجزة الكبيرة"^٦. لقد أصبح ممكناً الآن وضع سجل بالأحداث وفق تسلسلها الزمني، ودوّنت تفصيلاتها على بطاقات مصنّعة بحسب الزمان والمكان والموضوع، كما شرّع في البحث عن وثائق موجودة لدى وحدات في الجيش الإسرائيلي لم تكن أرسلت بعد ما لديها إلى الأرشيف، أو عن تلك التي كانت في يد أفراد وجماعات من خارج الجيش الإسرائيلي^٧. وجمعت في مكتبة الفرع جميع الأبحاث والكتب والمقالات التي أنجزت سابقاً، والتي يمكن أن تُستخدم كنقاط انطلاق لمواصلة العمل.

وكانت الخطوة التالية تكليف باحثين متعددين دراسة المعارك الحربية، أو جوانب أخرى من الحرب، بصورة منظمة ومعقدة، وكان الباحثون، في أغلبيتهم، ضباطاً مسرّحين من الجيش، ومستعدين لتكريس وقتهم لهذا العمل. فعلى سبيل المثال، أخذ نكديمون روغل على

عملية. علاوة على ذلك، صُنفت الأحداث عبر ترميز خاص بحسب الطابع المحدد للعملية: دفاع؛ كمين؛ إغارة؛ هجوم بمبادرة إسرائيلية؛ إلخ، وأشار ترميز آخر إلى كيف انتهت المعركة، بالنجاح أو بالفشل. وبعد استكمال الخرائط، جُمعت المعلومات كلها التي تضمنتها في كُتَيْب عنوانه: "فهرس خريطة المعارك" ("إندكس مَبَات هَكَرافوت")، والذي شكّل نوعاً من log book، أي سجلّ جَار يشتمل على أحداث الحرب كافة. واستخدم رجال الفرع هاتين الوثيقتين كسقالة أساسية يركّبون عليها مختلف الأبحاث التي يعدونها، إلى أن يحين أوان رواية تاريخ الحرب بصورة شاملة.^{١٢}

تساؤلات مبدئية

بينما كان فريق فرع التاريخ يوزّع مهمات البحث على المكلفين بالقيام بها، ويركّز على المعطيات، راودته مجموعة من التساؤلات كان من الحيوي توضيحها للقيام بعمل تاريخي على مستوى أكاديمي.^{١٤} وكان أولها: ما هو الاسم الذي يجب إطلاقه على حرب ١٩٤٨؟ فقد كان ضباط الفرع واعين لحقيقة أن اسم الحرب مرتبط بمنظور مَن يسمّيها، فالعرب لديهم تسميات محمّلة بمعانٍ خاصة بهم، مثل "نكبة فلسطين"، ولم يكن هناك شك في أن اليهود سيستخدمون تسميات محمّلة بالمعاني أيضاً، وأن مصطلح "حرب التحرير" الذي انتشر على ألسنة الناس كان خطأً لأن اليهود لم يخوضوا حرب ١٩٤٨ لتحرير البلد من البريطانيين. وتبنّت [دار نشر] "معراخوت" الاسم الذي اقترحه بن - غوريون: "حرب الاستقلال" ("مِلْحيمت هَكَوميموت")،* وكان القصد من العنوان إبراز خصوصية تلك الحرب بتسمية معبّرة. وأثر فرع التاريخ منذ البداية استخدام مصطلح "حرب الاستقلال" ("مِلْحيمت هَكَوميموت")،* لأن الاستقلال السياسي لليهود

الخليل في مشارف رامات راحيل؛ الرائد محمود الروسان، الضابط في الفيلق العربي، والذي وصف "معارك باب الواد"^{١٠} وكانت تلك أول مرة يتمكن فيها القارئ العبري من إلقاء نظرة على "ما وراء الأكمة".

وفي الوقت نفسه، نشرت شعبة الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي مقتطفات مسهبة من وثيقة مهمة وقعت بين يديها، وهي: تقرير لجنة برلمانية عراقية باشرت التحقيق في أسباب الحرب في فلسطين فور انتهاء المعارك.^{١١} فعلى الرغم من الكلام الكثير الذي قيل عن "نكبة فلسطين"، فإن النخب السياسية العربية لم تُسرّع إلى إجراء مراجعة ذاتية صادقة لأسباب الهزيمة، وإنما كان العراق الدولة الوحيدة التي شكّلت لجنة تحقيق في أسباب الكارثة. وينمّ عمل اللجنة عن مقدار غير قليل من الاستقامة، وعن مدح للذات أيضاً. فبُعِدَ العراق الجغرافي عن ساحة الحرب، وحقيقة أنه كان الدولة الوحيدة التي انخرطت في النزاع من دون توقّع شيء في المقابل لمصلحتها المباشرة، سمحا لقادتها باتخاذ موقف نقدي تجاه زعماء الدول العربية الأخرى، ويوصف الأحداث من دون تزيين وبدرجة كبيرة من الصدق.^{١٢}

ومكنت المادة المتراكمة في فرع التاريخ رجالَ الفرع من أن يأخذوا على عاتقهم القيام بعملية بحث أساسية بغاية الأهمية. فقد شرع فريق عمل الفرع في وضع إشارات، الواحدة تلو الأخرى، بشأن مواقع العمليات الكبيرة والصغيرة التي حدثت في إبان الحرب، على منظومة من ١٦ خريطة طبوغرافية بمقياس ١:١٠٠,٠٠٠. وسُميت المنظومة التي طُبِعَ منها عشرات النسخ في النهاية: "خريطة المعارك" ("مَبَات هَكَرافوت")، وكان ثمة ضرورة للعودة والتحقق بمنتهى الدقة من المواقع الجغرافية التي نُفِذت فيها العمليات، ومن تاريخ كل

* الكلمتان «كوميموت» و«عتسموت» تفيدان بالمعنى نفسه.

القوى للأطراف كلها التي اشتركت في مختلف مراحل حرب ١٩٤٨. وأظهرت خلاصة المادة المقدّمة إلى رئيس الأركان، الصورة الجلية التالية: لا تكمن معجزة اليبشوف في حرب ١٩٤٨ في انتصار القلة على الكثرة، وإنما في قدرة القلة على تجنيد طاقات من داخلها، فاقت في نهاية الأمر قوة أعدائها "الكثُر".^{١٦}

كتاب الدولة

بينما كان نتانئيل لورُخ ماضياً في تكوين فريقه وتحضير أدوات عمله، استعداداً لبحث معمق يُخصّص له ما يحتاج إليه من وقت، أُلقيت على كاهله مهمة أربكت العمل لأنها تطلبت إعداد نوع من الخلاصة المرحلية بأسرع مما هو متوقع. ففي نهاية سنة ١٩٥٣، قرر المشرفون على دار النشر "عيانوت"، التابعة لحزب عمال أرض إسرائيل (مباي)، إعداد سلسلة كتب للنشر تلخّص إنجازات دولة إسرائيل في أعوامها الأولى، على أن تصدر بمناسبة مرور ٥ سنوات على إعلان الدولة. وأخذ دافيد بن - غوريون، الذي كان يمضي فترة إجازة في سديه بوكر، على عاتقه تحرير السلسلة. وكان الكلام يدور على إعداد "كتاب الدولة" ("سيفر همدينا")، وخصّص أحد المجلدات لسرد رواية حرب الاستقلال، وأوكلت المهمة، بموافقة رئيس الأركان، إلى نتانئيل لورُخ. ومنعاً لتشغيل ضابط في الجيش في مؤسسة حزبية، اتُفق على أن يكون هذا المجلد من إصدار "معرّخوت".^{١٧} هبّ نتانئيل لورُخ بحماسة لإنجاز العمل، فغرف من المادة التي تجمّعت في الفرع، ومن تلك التي واصلت تدفّقها، وبدأ بإملاء رواية الحرب على سكرتيرته، الفصل تلو الآخر. وعندما اكتملت المخطوطة، أرسل نسخاً إلى كبار الضباط الذين أداروا المعارك خلال الحرب، طالباً منهم ملاحظاتهم عليها. ونظراً إلى أنه لم يتمكن من استجواب ومقابلة جميع

في أرض إسرائيل كان الدافع الرئيسي الذي فجّر الحرب، وأفضى إلى نتیجتها الرئيسية. وجرّ هذا سلسلة من التساؤلات الإضافية ذات الصلة بمشكلة تاريخ ابتداء الحرب وانتهائها: هل انتهت الحرب فعلاً عندما وُقِع اتفاق وقف إطلاق النار الأخير مع سورية، في ١٩٤٩/٦/٢٠، أم أنها انتهت قبل هذا التاريخ؟ هل يجب التمييز المطلق بين المراحل التي سبقت إعلان الدولة والمراحل التي أعقبها، أم يجب النظر إلى مختلف المراحل ككلٍ مترابط الأجزاء؟

علاوة على ذلك، احتار لورُخ في كيف يروي "رواية يتوفر فيها إلى حد كبير التسلسل المتصل والسببية الواضحة"، إذ كان عليه الاختيار بين ثلاثة مناهج لتنظيم المادة الوفيرة والمعقدة: تنظيم بحسب الموضوع (thematical): تنظيم بحسب التسلسل الزمني (chronological): تنظيم جغرافي. وكان السؤال المطروح هو التالي: هل يجب سرد رواية المعركة في كل منطقة على حدة، منذ البداية حتى النهاية، أم اتّباع التسلسل الزمني ووصف الأحداث المتعددة التي وقعت في فاصل زمني محدد في أنحاء البلد كافة؟ وفي النهاية، اضطر جماعة الفرع إلى دمج تلك المناهج: "التنظيم بحسب الموضوع في المرحلة الأولى، ثم البناء الكرونولوجي والجغرافي في المراحل الأخيرة." وفضلاً عن ذلك، شغلت مسألة موازين القوى فريق الفرع في مراحل مبكرة جداً،^{١٥} إذ حثه الجنرال موشيه دايان، رئيس هيئة الأركان العامة آنذاك، على إجراء حساب دقيق لموازن القوى خلال الحرب. وكان دايان يعتقد، خلافاً للرأي الشائع، أن معظم معارك ١٩٤٨ أُدير بطريقة سيئة، كما أنه لم يكن يطيق الأوصاف المثيرة للشفقة، وعارض استخدام عبارات مجازية مثل: "انتصر دافيد الصغير على جالوت العربي." وقد توجّه في مطلع سنة ١٩٥٥ إلى رئيس الفرع طالباً منه جميع تفصيلات موازين

إشراف من جهات عليا. ورفع دوري هذه الشكاوى إلى رئيس الأركان، ولخيبة أمل المقدم لورخ الكبيرة، فإن دايان استجاب لطلب رئيس أركان الحرب، وشكل لجنة تقييم لمضمون الكتاب تشكلت من كل من: اللواء دوري؛ لسيا غاليلي من "معراخوت"؛ يسرائيل بار؛ شاؤول أفيجور الذي كان يشارك آنذاك أيضاً في تحرير كتاب "تاريخ الهاغاناه" ("سيفر تولدوت ههاغاناه"). وكان فحوى توجيهات دايان إلى اللجنة هو "أن الأوامر بشأن الموضوعات الحساسة التي يجب تضمينها في الكتاب أو حذفها منه ستصدر عن وزير الدفاع أو رئيس الأركان" - أي أن ثمة صلاحية تفوق صلاحية، وأن هناك رقابة إدارية وسياسية على الكتابة التاريخية.^{١٨}

وبسرعة تبين أن يعقوب دوري لا ينوي الاكتفاء بحذف فقرات قليلة، وإنما إعادة تحرير الكتاب بمجمله، وقد أعطى نفسه الحق غير القابل للطعن في تحديد ما سيحتويه الكتاب. وانتفض لورخ ضد هذه المقاربة ليقينه بأنه لا يجوز "لأولئك الذين كان لهم علاقة مباشرة بالأحداث أن يقرروا ما الذي يجب نشره. (...)" فهذا مبدأ يتعارض مع طريقة الكتابة التاريخية الممنهجة، إذ لا يجوز أن يشهد خباز على جودة خبره، كما أن الشخص الذي لديه مصلحة عليا في هذا الشأن، بمعنى أن صورته أو جزءاً مهماً من صورته يتوقفان على الأمور التي ستوصف، لا يجوز أن يكون هو من يقرر ماذا يتعين أو لا يتعين نشره.^{١٩} وبحسب شهادة لورخ، فإن معظم النقد الذي وجهه أعضاء اللجنة إلى الكتاب لم يدر حول عدم الدقة في سرد الوقائع، أو حول أخطاء في عرض هذه الوقائع، وإنما كان ملاحظات من قبيل: "لا تقولوا: في جت"؛ و"كقولهم للمؤرخ: ليس شأنك أن تروي كذا وكذا..." - والمقصود بذلك عدم سرد حوادث وقضايا ليست في مصلحة صورة الدولة، أو الجيش، أو قاداته.

من شارك بفاعلية في الحرب، فإنه كان يأمل باستخراج معلومات إضافية من الملاحظات، وبتفادي أخطاء ممكنة في المخطوطة.^{١٨} وأبدى عدد كبير من قراء المخطوطة ملاحظات تتصل بدقة الوقائع المروية، في حين طالب آخرون بتقوية وتعزيز "حقوقهم [دورهم] في الرواية" وهكذا، مثلاً، اعترض يغنيل يادين على التقليل غير المبرر من أهمية مساهمة فرع تخطيط وإدارة العمليات الذي أشرف عليه، بينما رأى مثير عميت، الذي خدم كقائد الكتيبة [١٥] في لواء "غولاني"، أن "سرايا من لواءي كزلمي وغولاني شاركت أيضاً في عملية مشمار هعيمك"، كما أن يادين، الذي خدم لاحقاً كرئيس للأركان، كان حساساً أكثر من الضباط الأدنى رتبة لما "سيقولونه عنا في جت." ونذكر، على سبيل المثال، بين الملاحظات التي أرسلها يادين كتابة إلى نتانئيل لورخ، الملاحظة التالية: "إن مسألة الأملاك [الفلسطينية] المتروكة من شأنها أن تضرب بصورة الرواية": أو قوله: "لأسباب أمنية - سياسية، ثمة شك في أن يكون من المفيد التأكيد، رسمياً، منذ الآن، أننا احتلنا قرية بيت جبرين بعد الهدنة... من الأفضل أن نسكت عن هذا الآن، ويُفضل استخدام أسلوب دبلوماسي أكثر."^{١٩} وأرسل نتانئيل لورخ نسخة من مخطوطته أيضاً إلى رئيس أركان الحرب، الجنرال يعقوب دوري، رئيس معهد التخنيون في حيفا آنذاك. وعندما يستذكر لورخ هذه اللحظة، يقول: "كان ذلك أحد أفدح القرارات المصيرية خطأ التي اتخذتها في حياتي."^{٢٠}

لقد اعتبر يعقوب دوري أن الشرح المعروض في كتاب لورخ لكثير من الموضوعات "بعيد عن الصواب" أو ليس صحيحاً، وكتب رأيه هذا في رسالة موجهة إلى لورخ. علاوة على ذلك، كان لديه أيضاً ملاحظات على المخطوطة برمتها، بل إنه ذهب إلى حد الطعن بصلاحية لورخ في أن يكون محدد محتوى رواية المعركة، من دون

وفي مطلع سنة ١٩٥٥، يؤس لورُخ من فرض وجهة نظره، وقُبل اقتراحُ وزير الخارجية بأن ينضم لورُخ إلى طاقم وزارته كملحق إعلامي في الساحل الغربي للولايات المتحدة الأميركية، فاستقال بتأنيل من الجيش، تحز في نفسه الخيبة والمرارة، وتاركاً خلفه اللجنة ومخطوطة الكتاب الذي تمكن من استكماله في الأيام الأخيرة قبيل سفره.

وعقدت اللجنة اجتماعات أخرى، بيد أن أعضاءها يتسوا بسرعة من إمكان إجراء تعديلات على سرد لورُخ للأحداث، ووافقوا على اقتراح يسرائيل بار إعادة كتابة كل شيء من جديد. وعُين بار، الذي كان آنذاك يحظى بثقة رئيس الحكومة به، معلقاً عسكرياً مختصاً، وموظفاً في مكتب وزير الدفاع،^{٢٦} فانكب بحماسة على مهمته في الأشهر الأولى، ووضعت في متناوله أيضاً وثائق من محفوظات بن - غوريون الشخصية، وبينها يومياته التي لم يكن أحد اطلع عليها حتى ذلك التاريخ.

وفي نهاية تلك السنة، نشر يسرائيل بار باكورة أعماله: تحليل ووصف شامل لمعارك اللطرون في فترة صد [هجوم الفيلق العربي]، (١٩٤٨/٥/٢٥ - ١٩٤٨/١١/٦). وكان العنوان الفرعي لمقالته: "مسودة أولى من داخل كتاب تاريخ حرب الاستقلال (كوميموت)", بيد أنها كانت، في الواقع، الأولى والأخيرة. ويجوز الافتراض أنه اعتباراً من سنة ١٩٥٦، انغمس يسرائيل بار في مشاغل أخرى، ولم يستكمل يوماً عمله فيما يتعلق بحرب ١٩٤٨.

كتاب واحد - روايتان

لم تبق المخطوطة التي خلفها لورُخ وراءه

* اسم حصن إيطالي ذهب إليه قيصر ألمانيا هنريخ الرابع في سنة ١٠٧٧، لمقابلة البابا غريغوروس السابع لأخذ الصفح منه وإلغاء التحريم ضده على كفره بالكاثوليكية. (المتجمة)

وكان لورُخ حذراً جداً في صوغ المخطوطة، وامتنع في أغلب الأحيان من عرض حوادث مؤسفة مثل تصفية الأسرى، وأعمال النهب والطرده المنهجي للعرب من منازلهم، لكنه لمَح هنا وهناك إلى أمور من هذا القبيل. فمثلاً، كتب على هامش وصف احتلال الناصرة:

"منذ المراحل الأولى للحرب وقعت بين أيدينا أماكن مقدسة بالنسبة إلى النصراني في حيفا، وفي يافا، وخصوصاً في القدس - في جبل صهيون وفي نوتردام، ووقعت حوادث اعتداء من جنودنا على هذه الأماكن، سواء من قبيل قلة الاحترام أو جرأ قلة الانضباط. [كان هذا فشلاً و] فشلنا أيضاً هذه المرة في مشكلة الغنائم والأموال المتروكة في الأحياء، في القرى، وفي المدن التي احتلناها [في إطار عملية "ديكل"]. وكان هذا الفشل خطراً في بعض الأحيان."^{٢٣}

ولم يكتف اللواء دوري ورفاقه في اللجنة بمستوى الحذر الذي فرضه لورُخ على نفسه، بل طالبوا بإخفاء، أو على الأقل "شرح" (ولعله يجوز القول "تبييض") الأخطاء العملائية للقادة العسكريين ولهيئة الأركان العامة. كما أنهم لم يكونوا متعاطفين مع المنظمين المنشقين (إيتسل وليحي)، اللتين حاول لورُخ وصف مشاركتهما في المواجهات بقدر من الموضوعية.^{٢٤}

وعبئاً احتج بتأنيل لورُخ، وعبئاً حاول إقناع رئيس الأركان ووزير الدفاع بتحريره من غضب اللجنة. ويقول لورُخ إن المسألة غدت كابوساً نغص حياته، إذ كان عليه أن يذهب إلى كانوسا* مرة في الأسبوع، بحسب ما رواه عنه الصحافي يسرائيل لاندروس. وكانت جلسات اللجنة تُعقد في حيفا (في مكتب دوري)، حيث كان بتأنيل يوضع في "قفص الاتهام". وفي هذه المرحلة أشركت اللجنة يسرائيل بار، طالبة منه "تذييل كل فصل يكتبه لورُخ بتفسير."^{٢٥}

من إعداد فرع التاريخ مدة طويلة، إذ ازداد الطلب على محاضرات بشأن حرب الاستقلال، وأصبحت الحاجة إلى مادة مكتوبة وخرائط توضيحية أكثر إلحاحاً. وفي سنة ١٩٥٧ توجه ضباط المدرسة الحربية في هيئة الأركان العامة إلى فرع التاريخ طالبين إعداد "كتاب الدولة" ("سيفر همدينا") بشكل "خطوط عريضة معدة للشرح"، وأوكلت المهمة إلى يهوشوع بن - أرييه، الذي نظم الكتاب بشكل سلسلة من ١٢ محاضرة. وصدر كُتَيْب "حرب الاستقلال" ("ميلحيمت هعسمائوت") في مناسبة ذكرى الاستقلال التاسعة،^{٢٨} وأشار الناشر في مقدمته إلى أن محتواه هو تلخيص لـ "ما كان في البدء عملاً كاملاً وشاملاً أكثر، كتبه المقدم نتانئيل لورخ، الذي كان رئيس فرع التاريخ في هيئة الأركان العامة".^{٢٩} وسمحت الحاجة إلى الاختصار بالقفز فوق معظم القضايا الخلافية، فمثلاً، حُذفت قصة دير ياسين بالكامل، ولم تُذكر قضية الباخرة التلينا، وغني عن القول أنه لا يرد ذكر الأزمة الخطرة التي نشبت في القيادة العليا خلال فترة الهدنة الأولى.^{٣٠} ومع أن "الخطوط العريضة" لم تكن مصنفة سرية، إلا أن توزيعها اقتصر على وحدات الجيش الإسرائيلي، ولم يُتَح للجمهور العريض الاطلاع عليها على الرغم من الطلب المتزايد على مادة "معتمدة". ولذا، أخذت هيئة تحرير دار "معراخوت" مخطوطة كتاب لورخ، فأعادت تحريرها، ثم قامت بنشرها في طبعة مخصصة للجمهور العريض، حملت عنوان: "تاريخ حرب الاستقلال: رواية المعركة" ("تولدوت ميلحيمت هكوميوت"). ودُكر في المقدمة أن الكتاب هو

من إعداد فرع التاريخ في هيئة الأركان العامة، لكن تم حذف اسم نتانئيل لورخ. ومن أجل تعزيز صدقية الكتاب، جرت إضافة مقالة طويلة كتبها رئيس الحكومة ووزير الدفاع دافيد بن - غوريون. الذي أثر التواضع، فجعل عنوان مقالته: "من رؤيا الدولة إلى حرب الاستقلال (كوميوت): تأملات وذكريات".^{٣١} وشكّل هذا الكتاب في تلك المرحلة السردية الرسمية للجيش الإسرائيلي، المصادق عليها من طرف أعلى سلطة [أي بن - غوريون نفسه].* وبعد أن عاد نتانئيل لورخ من لوس أنجلوس، استأنف العمل على مخطوطته، فحرر الكتاب، وقصّر فقرات في بعض الأماكن، ووسّع فقرات في أماكن أخرى، وصاغ كل شيء من جديد، وأضاف مقدمة للكتاب بقلم الجنرال (احتياط) يغئيل يادين، الذي كان آنذاك أستاذ علم الآثار في الجامعة العبرية. لكن الكتاب من الناحية القانونية، كان ملك الجيش الإسرائيلي، لأن مؤلفه كتبه في إبان فترة خدمته كضابط في الجيش، وعليه، فإن لورخ كان بحاجة إلى موافقة السلطات إذا كان يريد نشر كتابه بصفة شخصية. وقد واجه هذا المسار صعوبات كثيرة، لكن كتاب لورخ أبصر النور أخيراً في ربيع سنة ١٩٥٨، في الذكرى العاشرة لإعلان الدولة، وحمل عنوان: "وقائع حرب الاستقلال" ("كوروت ميلحيمت هعسمائوت").^{٣٢} وهكذا أصبح بين يدي القارئ الإسرائيلي روايتان من الكتاب نفسه: رواية السلطة، ورواية المؤلف.

ولسنا معنيين الآن بأن نقارن بين روايتي كتاب نتانئيل لورخ،^{٣٣} لكن نستطيع القول بصورة عامة، إن محرري رواية الجيش الإسرائيلي حذفوا معظم النقاط الحساسة، ولذا فإن الكتاب تعثره تشوهات وثغرات غير قليلة، بينما يظهر بجلاء في رواية لورخ استعداد أكبر للتحليل المستقل، مع أنه لم يتنصل من القيود والتحفظات التي فرضها ذاك الجيل كله على نفسه، في وصف المعركة وتفسيرها.

في أدراج فرع التاريخ مدة طويلة، إذ ازداد الطلب على محاضرات بشأن حرب الاستقلال، وأصبحت الحاجة إلى مادة مكتوبة وخرائط توضيحية أكثر إلحاحاً. وفي سنة ١٩٥٧ توجه ضباط المدرسة الحربية في هيئة الأركان العامة إلى فرع التاريخ طالبين إعداد "كتاب الدولة" ("سيفر همدينا") بشكل "خطوط عريضة معدة للشرح"، وأوكلت المهمة إلى يهوشوع بن - أرييه، الذي نظم الكتاب بشكل سلسلة من ١٢ محاضرة.

وصدر كُتَيْب "حرب الاستقلال" ("ميلحيمت هعسمائوت") في مناسبة ذكرى الاستقلال التاسعة،^{٢٨} وأشار الناشر في مقدمته إلى أن محتواه هو تلخيص لـ "ما كان في البدء عملاً كاملاً وشاملاً أكثر، كتبه المقدم نتانئيل لورخ، الذي كان رئيس فرع التاريخ في هيئة الأركان العامة".^{٢٩} وسمحت الحاجة إلى الاختصار بالقفز فوق معظم القضايا الخلافية، فمثلاً، حُذفت قصة دير ياسين بالكامل، ولم تُذكر قضية الباخرة التلينا، وغني عن القول أنه لا يرد ذكر الأزمة الخطرة التي نشبت في القيادة العليا خلال فترة الهدنة الأولى.^{٣٠} ومع أن "الخطوط العريضة" لم تكن مصنفة سرية، إلا أن توزيعها اقتصر على وحدات الجيش الإسرائيلي، ولم يُتَح للجمهور العريض الاطلاع عليها على الرغم من الطلب المتزايد على مادة "معتمدة". ولذا، أخذت هيئة تحرير دار "معراخوت" مخطوطة كتاب لورخ، فأعادت تحريرها، ثم قامت بنشرها في طبعة مخصصة للجمهور العريض، حملت عنوان: "تاريخ حرب الاستقلال: رواية المعركة" ("تولدوت ميلحيمت هكوميوت"). ودُكر في المقدمة أن الكتاب هو

* تجدر الإشارة إلى أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية قامت في أواسط الثمانينيات بترجمة ونشر هذه الرواية الرسمية. راجع كتاب: «حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨: الرواية الرسمية الإسرائيلية»، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤).

الفرع، ومن أجل إفادة الأجيال القادمة، أرسى بنية تحتية بحثية كان سيصعب من دونها دراسة حرب الاستقلال بالمقدار اللائق من الدقة والتفصيل. لكن أعضاء فريق الفرع لم تتح لهم ميزة المنظور الملائم لتقويم صحيح للأحداث، وإنما كانوا واقعين تحت ضغوط الآراء والتصورات التي طبعت "الجيل الأول" كله، وكانت تواجههم عوامل قسرية سياسية ودعائية وتثقيفية حالت دون رؤيتهم الأحداث بالقدر نفسه من النقد والحرية المتاحة لباحثي الجيلين الثاني والثالث. غير أنهم تمتعوا بأفضلية لن تتوفر للأجيال التالية، وهي: القدرة على استعادة تفصيلات المعارك في الميدان، من السِّنة الذين شاركوا فيها، وعلى الفهم المباشر للجو السائد آنذاك ولمغزى الأحداث في نظر أبناء الجيل الأول. إن المؤرخين الشباب، وعن حق، يستندون أولاً وقبل أي شيء، إلى الوثائق الموجودة في الأرشيفات التي يتم فتحها أمامهم، لكن من الأفضل لهم أن يعودوا، متسلحين بملكتي الشك والحس النقدي اللذين يجدر بكل مؤرخ أن يتحلى بهما، إلى تفحص المادة المهمة المحفوظة في ملفات فرع التاريخ، وإلى الأبحاث التي قام بها الفرع في أعوام البداية. ■

أما لورخ نفسه فلم يزعم تقديم كتابة تاريخية "موضوعية"، وهو يستشهد بقول للمؤرخ [الفرنسي اليهودي]، الذائع الصيت مارك بلوخ: * "يكفي أن تكون أقوالنا صادقة، ومن خلال المقارنة بين كثير من الأقوال الصادقة... ستظهر الحقيقة في نهاية الأمر." ويضيف لورخ، فاتحاً قلبه وكاشفاً نقطة انطلاقه ومنظوره، قائلاً: "أنا عضو في الهاغاناه، ابن عضو فيها، رافق أباه إلى نوبات الحراسة الليلية خلال أحداث ١٩٣٦ - ١٩٣٩، وانضم اعتباراً من سنة ١٩٤١ إلى صفوف الهاغاناه، فاللواء اليهودي المقاتل، ثم إلى الجيش الإسرائيلي"،^{٣٤} الأمر الذي يعني أنه ينتمي إلى منظور المعسكر الصهيوني المركزي. وثمة شك فيما إذا كان في الإمكان توقع قدر أكبر من النقد الذاتي في خضم الصراع المستمر مع العرب، ووسط جوّ الشعور بالفرح والاعتزاز بالإنجاز الكبير لسنة ١٩٤٨. ومع مرور الأيام والأعوام ظهر جيل جديد من المؤرخين حاول تقويم أحداث سنة ١٩٤٨، وشرح مغزاها بدرجة أكبر من الابتعاد والحيادية، لكن تقويم عمل هؤلاء لا علاقة له بمقالتنا هذه.^{٣٥} ويسعنا في الختام أن نضيف ما يلي: إن عمل نيتانيل لورخ ومساعديه في فرع التاريخ في هيئة الأركان العامة، في بداية مشوار هذا

المصادر

- ١ إذا تأملت في المراجع والمصادر الواردة في هامش كتاب نتانئيل لورُخ، فستجد أنه استخدم جيداً هذا المخزون التاريخي. انظر: نتانئيل لورُخ، "وقائع حرب الاستقلال" (كوروت ميلحيمت هعتسماؤوت)، (تل أبيب: مسادا، ١٩٥٨).
- ٢ انظر تقرير التقدم نصف السنوي، ١٩٥٢/٧/٣١، "الأرشيف العسكري"، ٧٩/٤٥، الملف رقم ١٣؛ "الأرشيف العسكري"، ٦٣/٥٥، الملف رقم ٧١. واعتبر نتانئيل لورُخ أن هذا الفرع هو استمرار لقسم دروس المعارك الذي أنشئ في شعبة العمليات في سنة ١٩٤٩. ومع إعادة تنظيم شعبة التوجيه بقيادة يتسحاق رابين، ألحق فرع التاريخ بدائرة نظرية الحرب في شعبة التوجيه. انظر وثيقة هيئة الأركان العامة رقم ٤٥١، "تغييرات في بنية شعبة التوجيه"، ١٩٥٤/٦/٢٢، "الأرشيف العسكري"، المجموعة التنظيمية.
- ٣ صدرت في تلك الأعوام المجلدات الأولى للتاريخ الرسمي للجيش الأميركي في الحرب العالمية الثانية، كما بدأت تنشر سلسلة تاريخية رسمية للجيش البريطاني، واستحصل نتانئيل لورُخ على بعضها، وكانت موضوعة على مكتبه.
- ٤ انظر وثيقة فرع التاريخ، "إعداد التاريخ العسكري لحرب الاستقلال"، ١٩٥٣/١/٢، "الأرشيف العسكري"، ٧٩/٥٤، الملف رقم ١٢٤. وضمت ملفات نائب رئيس الأركان ورئيس شعبة العمليات في تلك الأيام بعضاً من الوثائق التي أعدها نتانئيل لورُخ في بداية مشواره، والتي يفصل فيها المونوغرافات التي طلبها والتي كان يزوي طلبها. انظر على سبيل المثال، وثيقة بعنوان: "مونوغرافات حرب الاستقلال"، التي أرسلت إلى مكتب شعبة العمليات في ١٩٥٣/٤/١٧، "الأرشيف العسكري"، ٦٣/٥٥، الملف رقم ٧١.
- ٥ انظر رواية نتانئيل لورُخ بشأن كيف ترأس فرع التاريخ في سيرته الذاتية: "في أواخر العمر: سنوات حياتي السبعون الأولى" (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع ١٩٧٧)، ص ١٦٢ - ١٧٣.
- ٦ انظر ملفات "المعجزة الكبيرة"، برقيات خارج/داخل في "الأرشيف العسكري".
- ٧ انظر رسائل نتانئيل لورُخ إلى نائب رئيس الأركان في ١٩٥٢/٤/٢١، ١٩٥٢/٥/٨، "الأرشيف العسكري"، ٧٩/٥٤، الملف رقم ١٢٤. وعبثاً حاول نتانئيل لورُخ ضمّ أرشيف البلماح إلى أرشيف الجيش، لكن في النهاية سُمح له بتصوير هذا الأرشيف الذي أعيد إلى عين حرود، وبعد مرور أعوام عديدة تم وضعه تحت سلطة الجيش الإسرائيلي. انظر رسالة نائب رئيس الأركان في هذا الشأن في ١٩٥٢/١١/٥؛ لورُخ، "في أواخر العمر..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠.
- ٨ انظر القائمة الكاملة الموجودة في وثائق فرع التاريخ بعنوان: "برنامج عمل كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٤"، وفي تقرير تقدم الأبحاث في حزيران/يونيو ١٩٥٤، "أرشيف الجيش الإسرائيلي"، ٤٣٥/٥٦، الملف رقم ٦.
- ٩ انظر وثيقة شعبة العمليات في ١٩٥٣/٢/١٩، التي تتضمن أمراً بنقل الوثائق، "الأرشيف العسكري"، ٦٣/٥٥، الملف رقم ٧١.
- ١٠ انظر كتاب: "في نظر العدو: ثلاثة إصدارات عربية عن حرب الاستقلال" (بالعبرية)، ترجمة شموئيل سيغف، "معراخوت"، الجيش الإسرائيلي (أب/أغسطس ١٩٥٤). وقد صدر الكتاب بمبادرة من فرع التاريخ.
- ١١ انظر كتاب: "ما وراء الأكمة: لجنة برلمانية عراقية بشأن الحرب في إسرائيل" (بالعبرية)، ترجمة شموئيل سيغف، "معراخوت"، الجيش الإسرائيلي، (أيار/مايو ١٩٥٤).
- ١٢ المصدر نفسه، ص ١٠ - ١٦.
- ١٣ لا تزال نسخ خريطة العمليات موجودة في أماكن متعددة، وبعضها موجود لدى البروفسور يهوشوع

بن - أرييه، في دائرة أرض إسرائيل في جامعة حيفا، وبعضها في أُرشيف الجيش الإسرائيلي، وبعضها لدى البروفسور غابرييل كوهين. ومن أجل وصف تفصيلي وتحليلي لخريطة المعارك، انظر مقالة يوسي بن - أرتسي، "يهوشوع بن - أرييه وخرائط معارك حرب الاستقلال"، في كتاب: "مشهد مسقط رأسه" ("نوف مولدوتو") (كتاب تحية لذكرى يهوشوع بن - أرييه)، تحرير يوسي بن - أرتسي، ي. برطال، أ. ريند (القدس، ١٩٩٩)، ص ٤٦ - ٥٨.

١٤ وصلتني المعلومات المتضمنة في الفقرة التالية عن طريق مصدر خاص، لأنني شغلت مركز نثانئيل لورُخ في رئاسة الفرع في آخر سنة ١٩٥٤، كما أنني استقيت معلومات من مقالة لثانئيل لورُخ كتبها بعد عدة أعوام، وعكست كثيراً من مصاعبه في بداية مشواره، والافتباسات الواردة في هذه الفقرة مأخوذة من تلك المقالة. انظر: نثانئيل لورُخ، "مشكلة تأريخ حرب الاستقلال" (فيما يلي: لورُخ، التّاريخ)، "كاتيدرا" العدد ١ (أيلول/سبتمبر ١٩٧٦)، ص ٦١ - ٧٤.

١٥ تطرّق يسرائيل بار إلى الموضوع منذ سنة ١٩٥٠. انظر: يسرائيل بار، "الأطراف المتصارعة في بداية النزاع على أرض إسرائيل"، في: "من أجل فكر عسكري" ("بشْفيل مَحْشَفاه تُسْفانيت")، ص ٥ - ١٥.

١٦ أنا ممتن للبروفسور يهوشوع بن - أرييه الذي سمح بأن توضع تحت تصرفي الوثيقة الأصلية. انظر التحليل المفصل لموازين القوى في بداية هجوم الجيوش العربية في كتاب: أميتسور إيلان، "الحظر: القوة والحسم في حرب ١٩٤٨" ("إمبارغو: عوتسما فَهْخَراعاه بميلحيمت ١٩٤٨"). "معراخوت"، (١٩٩٥): المصدر نفسه، الفصل الثاني: "الأطراف المتخاصمة في نهاية أيار/مايو ١٩٤٨".

١٧ لم ينفذ برنامج النشر بأكمله. وقد أصدرت دار عيانوت في سنة ١٩٥٥، سلسلة كتب حملت عنوان: "دولة إسرائيل في طور البناء" ("مدينتا يسرائيل بِنْيَا")، وشملت كتاباً يعرض قضية الصراعات السياسية التي سبقت قيام الدولة. انظر: أبراهام بولاك، "قيام دولة إسرائيل" ("بكيوم مدينتا يسرائيل")، (تل أبيب: عيانوت، ١٩٥٥): كترئيل كانس، أ. أ. بن - أشر، "علاقات إسرائيل الخارجية ١٩٤٨ - ١٩٥٣" ("يحاسي حوتس شل يسرائيل")، (تل أبيب: عيانوت، ١٩٥٦): حاييم هالبرين، "تغيّرات في الزراعة الإسرائيلية" ("تموروت بحكّوت هيسرائيليت")، (تل أبيب: عيانوت، ١٩٥٦). ويشأن مشاركة لورُخ في هذا الأمر، انظر: لورُخ، "في أواخر العمر..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤ وما يليها.

١٨ رُويت تفصيلات حكاية "كتاب الدولة" ("سيفر همدينا")، أول مرة على لسان نثانئيل لورُخ إلى الصحافي يسرائيل لاندريس. انظر: يسرائيل لاندريس، "منظور تاريخي ومعرفة شخصية"، "دفار هَشْفواع"، ١٩٩٠/١/١٩.

١٩ أسهب نثانئيل لورُخ، في سيرته الذاتية، في عرض هذه الملاحظات التي تشكّل بحد ذاتها مادة مفيدة تطلعنا على طريقة تفكير ضباط كبار ونظرتهم إلى مجريات الحرب. انظر لورُخ: "في أواخر العمر..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤ - ١٩٢.

٢٠ المصدر نفسه، ص ١٩٢.

٢١ جميع الاقتباسات والتفصيلات الواردة في هذه الفقرة، وكذلك أوامر رئيس الأركان، مأخوذة من كتاب: لورُخ، "في أواخر العمر..."، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢ - ١٩٤.

٢٢ لورُخ، "التّاريخ"، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.

٢٣ مخطوطة "كتاب الدولة" ("سيفر همدينا")، مصدر سبق ذكره، المجلد ب، ص ١٥٨.

٢٤ المصدر نفسه، المجلد أ، ص ٧٣-٧٤. انظر كيف أن وصف قضية الباخرة ألتلينا موافق لرواية بن - غوريون. أمّا لورُخ فيضع اللوم كله على منظمة إيتسل المنشقة، كقوله: "يجب ألا نقيس المسؤولية عمّن قرر جلب الباخرة وتفرغها، في ضوء ما حدث فقط، وإنما في ضوء ما كان سيحدث لولا ردّ الحكومة الحازم، ولولا انضباط الجيش وانصياعه لأوامرها". المصدر نفسه، المجلد ب، ص ١٢٦ - ١٢٨.

- ٢٥ لاندريس، "منظور تاريخي ومعرفة شخصية"، مصدر سبق ذكره. ويعرض لورخ في كتابه، وبإسهاب، مراسلاته الكثيرة مع يعقوب دوري، وكذلك مع دايان وين - غوريون؛ المصدر نفسه، ص ١٩٤ - ٢٠٢. وهناك شهادات عن رحلات لورخ الأسبوعية إلى حيفا في التقارير الشهرية التي أرسلها إلى القائد، "الأرشيف العسكري"، ٤٣٥/٥٦، الملف رقم ٦.
- ٢٦ تميزت كتابة يسرائيل بار في تلك الفترة بأسلوب تيريبي لمصلحة بن - غوريون، لكن الشبهات حامت حوله في أنه جاسوس بعد سنتين من هذا التاريخ. انظر تقرير نقل يسرائيل بار من مدرسة القيادة والأركان إلى معسكر الأركان العامة إلى حين "الإفراج عنه"، رسالة قائد السلك في القيادة، "الأرشيف العسكري"، ١٩٥٤/١١/١٤، الملف رقم ١٦.
- ٢٧ نُشر المقال في إطار إصدار "معراخوت ٩٦" (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٥)، ص ٧ - ٩٣.
- ٢٨ انظر: "حرب الاستقلال: خطوط عريضة للشرح" ("مليحمت هعتسماؤوت: راشي براكيم لهسبرا"). لا إشارة إلى اسم الكاتب أو المحرر، الجيش الإسرائيلي، (١٩٥٧).
- ٢٩ المصدر نفسه، المقدمة، ص ٥.
- ٣٠ في الحقيقة، ثمة تلميح غير مباشر إلى قضية [مجزرة] دير ياسين من خلال كلام نُقل على لسان ضابط بريطاني يشرح فيه سبب عدم تدخله للدفاع عن قافلة لمنظمة هداसा، بمعنى أن الهجوم العربي على القافلة حدث رداً على "ما جرى في دير ياسين"، من دون شرح مغزى الأمر. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٦.
- ٣١ انظر: "تاريخ حرب الاستقلال" ("تولدوت هكوميبيوت")، لا إشارة إلى اسم الكاتب أو المحرر، "معراخوت"، الجيش الإسرائيلي، (كانون الأول/ديسمبر - كانون الثاني/يناير ١٩٥٩). وكتب بن - غوريون مقالته في سديه بوكر، وأنجزت الكتابة في ١٩٥٨/١٠/٧.
- ٣٢ انظر نتانئيل لورخ، "وقائع حرب الاستقلال" ("كورتوت مليحمت هعتسماؤوت")، (تل أبيب: مسادا، ١٩٦٦). وذيل يغئيل يادين مقدمته للكتاب على النحو التالي: "بتاريخ العيد العاشر لإقامة الدولة، فصح سنة ١٩٥٨". كما كتب المؤلف في مقدمته: "عشية عيد الحرية في سنة ١٩٥٨، في الذكرى العاشرة لإقامة دولة إسرائيل". وبعد مرور ٣٠ سنة، أصدر نتانئيل لورخ طبعة ثانية من كتابه، وهي أيضاً من إصدار تل أبيب: مسادا، ١٩٨٩.
- ٣٣ انظر مثل هذه المقارنة التفصيلية في كتابي: مردخاي بار - أون، "ذكرى في كتاب" ("زخرون بسيفر").
- ٣٤ لورخ: "وقائع حرب الاستقلال"، مقدمة المؤلف، مصدر سبق ذكره.
- ٣٥ من أجل تقويم للمؤرخين الجدد، انظر: مردخاي بار - أون، "نظرة ثانية إلى الوراثة: مراجعة تاريخ حرب ١٩٤٨ وبداية الدولة"، "يهودت زمانينو"، المجلد ٦ (١٩٩٢)، ص ٨٩ - ١١٦؛ مردخاي بار - أون، "التاريخ الذي لم يكن: توضيحات إضافية لمقولة التاريخ الجديد"، "يهودت زمانينو"، المجلد ١٠، ١٩٩٦، ص ٣ - ٤٠. وبشأن معظم ما كتب عن الموضوع من كتب ومقالات، انظر المراجع والمصادر المبينة في هوامش تينك المقاليتين المذكورتين أعلاه، وانظر أيضاً كيف يعرف هؤلاء المؤرخون الجدد ذواتهم في دراسة للمؤرخ بني موريس:

Benny Morris, "The New Historiography", *Tikkun*, vol. 3, no. 6 (Nov-Dec 1988).